Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية

العدد (108) المجلد (1) حزيران 2026

تمظهرات الاستهلال الشكلية والمضمونية في مدائح ابن الرومي

Formal and Thematic Manifestations of the Openings in Ibn al-Rumi's Panegyrics

م.م زهراء قيس حسين محمد
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

Abstract

This research sheds light on the opening as a threshold through which the reader enters the world of the text, contributing to shaping the horizon of reception and guiding the poem's meaning. The research reveals the openings of panegyrics in Ibn al-Rumi's poetry, presenting their formal manifestations. Ibn al-Rumi skillfully employed these formal features through his use of alliteration and rhyme, which show the openings of panegyric poems. As for the content, we find that Ibn al-Rumi focused on generating images and meanings that combine precision and beauty, where the formal structure integrates with the content to present an opening that enhances the aesthetic and artistic impact.

Email:
zahraa.administrion@uodiyala.iq

Published: 1- 6 -2026

Keywords: الاستهلال . ابن الرومي . التمظهرات الشكلية . التمظهرات المضمونية . مدائح ابن الرومي .

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يسّعى هذا البحث الى تسليط الضوء على الاستهلال بوصفه عَتبة يدخل منها القارئ الى عالم النصّ والتي تسهم في تشكيل افق التلقي و توجيه دلالة القصيدة ، فقد كشف البحث عن استهلالات المدح في شعر ابن الرومي ، التي قدمنا من خلالها المظاهر الشكليّة إذ ان ابن الرومي أجاد في توظيف المظاهر الشكليّة من خلال توظيفه للتصريع والتقفية بما ينسجم مع الاستهلال للقصائد المدحية ، أما من ناحية المضمون فنجده اهتم في توليد الصور والمعاني التي تجمع بين الدقة والجمال ، إذ يتكامل البناء الشكلّي مع المضمون ليقدم استهلالاً يعزز الأثر الجمالي والفني .

المقدمة

أولاً : الاستهلال عتبة النص الشعري وبوابته :

الاستهلال هو المقدّمة الأولى التي تَطرق وعي المتلقي ، والبؤرة التي ينطلق منها الشاعر في نتاجه الادبي ، إذ ذكر لنا أبو هلال العسكري (359هـ) في كتابه الصناعتين عن أهمية وجمال الاستهلال بقوله : ((أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان)) [1] .

وقد أشار ابن رشيق القيرواني (456هـ)بقوله عن الشعر: ((أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود في ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السّمع ، وبه يستدلّ على ما عنده من أول وهلة)) [2].فالقصيدة ترتبط بمطلعها ،أي بقدر ما يكون المطلع ناجحاً فنياً تكون القصيدة ناجحة ، وهذا الارتباط غاية الأهمية عند الكثير من الشعراء والنقاد.

ويؤكد لنا حازم القرطاجني (684هـ) في كتابه ((وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة ، إذ هي الطليعة الدالّة على ما بعدها المنزلّة من القصيدة منزلة الوجه والغرّة ، تزيدُ النفس بحسنها إبتهاجاً ونشاطاً لتلقي ما بعدها)) [3]،فهو أول ما يجذب الانتباه التشويق عند المتلقي ، فالاستهلال لغة مشتق من الفعل (هلّ) وهو يعني من بين ما يعنيه البداية والابتداء . يقال : هل الشهر اي ظهر هلاله ، والهلّ تعني استهلال الشهر. يقال اتيتهُ في هِل الشهر اي استهلاله[4].

ويأتي مفهوم الاستهلال مناظراً للافتتاح والتقديم الذي يكون في أول القصيدة من فحل الكلام ، ومتين القول ، بذكر الحوادث التي تتطلع إليها الأسماع ،والابتداء في ذكرها ، وهذا الاستهلال إنما يكون توطئة للغرض من مدح أو ما شابه ، فلا يهجم الشاعر للغرض مباشرة ، بل يقدم له ويفسح مجالا للتلقي [5] .

وللاستهلال وظيفتان : الأولى جذب انتباه القارئ أو السامع أو المشاهد وشد الى الموضوع ، فبضياع انتباهه تضيع الغاية ، وجلب انتباه السامع يتم بأدوات كلامية حسنة وبأسلوب تعبير مثير، ويعد ذلك من أخص أسباب النجاح . أما الوظيفة الثانية للاستهلال فهي التلميح بأيسر القول عمّا يحتويه النص وهذه

الوظيفة ذات شعب عديدة منها أن المعنى لا يأتي إلا من الابتداء الحسن وان السامع لا يقبل إلا متى ما يكون الكلام حسناً صحيح المعنى [6].

ونرى أن الاستهلال هو العنصر الأول من القصيدة الذي يكتفي بنفسه دلاليًا وشعريًا وإيقاعيًا والذي يحمل في مفاصلة ملامح النص الشعري وإرهاصاته سواء أكان هذا العنصر بيتًا شعريًا أو أكثر. وهو جزء من النص غير مقدمة القصيدة وإن كان جزءًا منها، وهو غير عنوان النص وإن كان يشترك معه في كثير من الخصائص [7].

وتعد عتبة القصيدة الباب الذي نعبر منه إلى رحاب القصيدة، وهي الهطول الشعري الأول والمكثّف الذي يعطي الانطباع الأولي عن القصيدة والشاعر أيضاً، وهي الأقرب إلى ساحة اللاشعور حتى تكاد تكون فيضاً مباشراً منه، ودراسة مطلع القصيدة تتيح لنا الإمساك بكثير من الأسرار النفسية والفنية في القصيدة، وقلما اهتم النقد العربي بمثل هذه الدراسات، ونذكر هنا كتاب الدكتور حسين عطوان (مقدمة القصيدة العربية)، وهو محاولة رائدة في هذا المجال [8].فالاستهلال هو الانطلاقة التي يبدأ منها الشاعر و نقطة البداية التي ينطلق منه ليعبر عن ما يجول في خاطره ، والتي تعبر عن عمق شعوره تجاه باقي القصيدة .

نَظّم ابن الرومي أكثر شعره في غرض المدح ، فقد مزجه بأغراض كثيرة كالفخر والشكوى والوصف ، وأدخر مدائحه الطويلة لأعظم الممدوحين قوة وثراء، ولعل ما يقرب من نصف مدائحه كانت في ثلاثة من رجال الدولة ، هم : عبيد الله بن عبدالله ، واسماعيل بن بلبل ، والقاسم بن عبيد الله بن وهب .وتدور مدائحه حول موضوعات كثيرة ، أبرزها الجود والكرم والشجاعة وأصالة النسب والذكاء والفصاحة والبيان[9].

ثانياً : مدائح ابن الرومي :

يشكل المدح في شعر ابن الرومي الجزء الأكبر من ديوانه الضخم ، إذ خرج ابن الرومي بالمديح عن المألوف شكلا ومضمونا، فمن حيث الشكل غير المقدمات ونوع وأطال وفصل ومن حيث المضمون مدح بالشمائل والطبائع، والذكاء والحزم والإقدام ساعده في ذلك خياله الخصب [10].

تغلب قصائد المدح في ديوان ابن الرومي على باقي الأغراض الأخرى؛ إذ إنه لم يجعل مدائحه خالصا للممدوح، بل ضمنها أغراضا أخرى، مثل الوصف والعتاب والتشكي والخواطر وأقحم أنا المدح مقابل الآخر الممدوح، حتى قال بعضهم: إن شعر ابن الرومي يثير جملة من القضايا الفنية، فالقارئ شعره يحس دوما بأنه أمام لحظة فنية متألقة، فهو ملاحق دوما بفعاليات جمالية تثير فيه الانفعالات والمتعة الفنية، وتشحذ ذهنه بالتساؤل والمهارة العقلية [11] . لذلك نرى الشاعر في أكثر من موضع يشرح معاني قصيدته ويعربها لممدوحه ، فالمعاني المدحية عنده غير واضحة المقاصد على الرغم من سهولة ألفاظه وشعبيتها ، فالمفردة لديه تنحو منحا دارجا عند العامة والخاصة .

المبحث الاول / مظاهر الاستهلال الشكليّة :

بَرعَ ابن الرومي في توظيف الموسيقى الشعرية في مستهل قصائده المدحية ، فهي لا تتكون من الايقاع العام أو العروضي وحده ، بل تنشأ من الإيقاع الداخلي .

1. **التصريع:**

يعد التصريع من أهم الإيقاعات الداخلية ؛إذ إنه يسهم في إثراء الحركة الموسيقية اللازمة لبنّية القصيدة الفنية لما فيه من تناغم يجعل النفس تتلقاه بارتياح (أن يلائم الشاعر بين العروض والضرب في الوزن والقافية) [12].

يستهل ابن الرومي أبيات قصيدته (**أيّها القادم**) بقوله: المنسرح]

حيَّتْك عني السُّعودُ والفَلَكُ والله والصالحون والمَلَكُ [13]

استهل الشاعر أبياته بالتصريع وهو بين ضرب البيت (والفلك) على تفعيلة مستعلن مطوية(وهي حذف الرابع الساكن وبه تصبح مستفعلن مستعلن)[14] والعروض (والملك) مستعلن (مطوي) فهو تصريع بالنقص أي سقوط السبب الخفيف من آخر التفعيلة .

وقال يمدح المنصوري في (**يا مورداً**) : [المنسرح]

أصبحتَ عاديتَ للصبا رشَدكْ جهلا ، وأسلمت للهوى قَودَكْ [15]

في هذا المطلع لجأ الشاعر الى التصريع إذ اتفق العرض (با رشدكْ) مستفعل مقطوعة (القطع هو حذف ساكن الوتد المجموع ، وتسكين ما قبلها مستفعلن تصبح مستفعل)[16] والضرب (وى قودكْ) على التفعيلة(مستفعل) مقطوع وهو تصريع بالنقص أيضاً تاركاً أثراً موسيقياً لتمهيد القصيدة.

وقال في علي بن يحيى : السريع

رِكْبتُك الخيرُ التي لم يَزَلْ لها جوادٌ مسَرج مُلجَمُ [17]

جاء تصريع بالنقص فالعروض جاءت هنا (لم يزل)على تفعيلة (مفعُلا) مطوية أي (حذف الرابع الساكن وبه تصبح مستفعلن مستعلن)[18] والضرب (مُلجَمُ) على تفعيلة (مفعُلا) مطوي.

وقال في إبراهيم بن حماد (نفحة كالمسك) : [الكامل]

لأمورِكَ التكميلُ والتتميمُ ولقدرك التعظيمُ والتّفخيمُ [19]

للتصريع نمط موسيقي يعطي للبيت انغاما فظهر العروض (تتميمُ)(متْفاعل) وهي مضمرة مقطوعة ، والضرب (تَفخيم)(متفاعلْ) مضمر مقطوع ليكونا تصريعاً بالنقص والذي يعطي أنغاماً موسيقية منبعثة من السجع تدخل البهجة في نفس القارئ عند الإستماع .

وقالٍ في القاسم في (فاعذر) : [الكامل]

يا مَنْ أوْمَل دونَ كُلّ كريمِ وتُحِبُّ نفسي دونَ كُلّ حميمِ [20]

الإستهلال مصَرّع بالنقص فقد جاءت عروض البيت على تفعيلة متْفاعل (مضمرة مقطوعة) والضرب متفاعل (مقطوع)، مما يمنح المطلع جرساً موسيقياً قوياً يرسّخ نغمة القصيدة ويعطي طابعاً جميلاً منذ البدء .

وقال في عبيدالله بن عبدالله (قل للأمير) : [البسيط]

قلْ للأمير: أدامَ اللَّهُ نعماكا وزادَ جدَّك إسعاداً وأبقاكا [21]

ظهر في هذا المطلع تصريع بالنقص وهو سقوط السبب الخفيف من آخر التفعيلة فقد جاءت تفعيلة عروض البيت (نعماكا) مشعثة والضرب (أبقاكا) مشعث وهو سياق تقليدي في مطالع مدائح بن الرومي ، فنجده يتكرر أكثر من مرة .

وقال يخاطب نفسه : [الطويل]

أبا حسنٍ قد قلتَ لو كان فَعّالٌ فحسبك قد سارتْ بَخْطبك أمثالُ [22]

المطلع هنا مصرّع بالزيادة فقد توافق العروض والضرب على تفعيلة (مفاعيلن) ليشد المتلقي ويعطي جرساً قوّياً، وهذا دلالة على قدرة الشاعر الموسيقية وقدرته على التلاعب في التفعيلة.

وقال يمدح أبا الحسين بن أبى البغل": [الوافر]

كَبِرتَ فغيرُك الغِرُّ الغُلامُ وغير قناعك الجَعْدُ السَّخامُ [23]

تتجلى الموسيقى الشعرية في مطلع هذه القصيدة المدحية من خلال توافق عروض البيت التي جاءت مقطوفة (اسقاط السبب الخفيف الأخير وتسكين ما قبله أو هو عبارة عن عصب + حذف وبه يصبح مفاعلتُنْ مفاعلَنْ وهو خاص بالوافر)[24] مع ضربه البيت الذي جاء مقطوف .إذ جاء الضرب هنا (غُلامُ) على تفعيلة مفاعل مقطوفة والضرب (سخام) مفاعلْ مقطوف .

وقال في إسماعيل بن بلبل في (ليبقَ جودك) : [البسيط]

اسْعَدْ بعيد أخي نُسْكٍ وإسلامٍ وعيدِ لهوٍ طليق الوجهِ بسَّام [25]

استهل الشاعر ابياته بانسجام العروض مع الضرب إذ جاءت العروض هنا (لام) مشعثة والضرب(سامِ) مشعث على تفعيلة (فالن) والتي أصلها فاعلن .

وقالِ في القاسم في (فاعذر) : [الكامل]

يا مَنْ أوْمَل دونَ كُلِّ كريمِ وتُحِبُّ نفسي دونَ كُلِّ حميم [26]

الاستهلال مصَرّع بالنقص فقد جاءت عروض البيت على تفعيلة متْفاعل (مضمرة مقطوعة) (الاضمار هو تسكين الثاني المتحرك)[27] والضرب متفاعل (مقطوع)، مما يمنح المطلع جرساً موسيقياً قوياً يرسّخ نغمة القصيدة ويعطي طابعاً جميلاً منذ البدء .

ثانياً : التقفية :

هو ان يكون البيت الأول معتدل الشطرين فيأتي الشاعر في عروض البيت بما يلزمه في ضربه مع ابقائها مع على ما تستحقه في نفسها من الحكم الثابت [28]، وتعدّ التقفية اداه فنية تجمع بين الشكل والمضمون ، فالشاعر يوظف قافيته بما يتلائم مع جوّ القصيدة .

وقال في عبيد الله بن عبد الله في قصيدته **(كم عفوت)**: [الكامل]

عيدٌ يعود كعود عُرفك دائماً نلقاك فيه مثلُ عرضك سالما [29]

استهل قصيدته بإظهار التقفية والتي نعدها نمط تقليدياً في أغلب مطالع قصائده المدحية ، فتوافقت تفعيلة العروض (متفاعلن) مع الضرب (متفاعلن) لتحدث انسجاماً موسيقياً يتناسب مع موقف القصيدة .

ويقول :

عقيدَ النَّدى: أطلق مدائح جمّة حبائس عندي قد أتى أن تُسرَّحا [30]

حاول ان يظهر التقفية في مطلع القصيدة وهي الانسجام بين عروض البيت وضربه إذ جاء العروض (ح جمّة) على (مفاعلُنْ) مقبوضة (وهو حذف الخامس الساكن من التفعيلة ،وبها تصبح مفاعيلن مفاعلُنْ)[31] والضرب(تسريحاً) (مفاعلُنْ) مقبوض .

وقال فى سليمان بن عبد الله : [الطويل]

سليمانُ ميمونُ النقيبةِ حازمٌ ولكنَّه حَتمٌ عليه الهَزائمُ [32]

تتجلّى الموسيقى من خلال حضور التقفية (حازم) و(هزائم) فقد اسهم هذا التماثل بين العروض والضرب الى شدّ أجزاء البيت ، و منح النص نغمة موسيقية متوازنة لتناسب مطلع القصيدة.

وقال يهنيء المعتضد بزفاف بنت ابن طولون : [الكامل]

يا سَيّدَ العربِ الذى قُدِرتْ له بايُمنِ والبركات سيّدةُ العَجَمْ [33]

جاء هذا البيت مقفى إذ امتاز هذا المطلع بالوضوح الايقاعي فقد توافق عروض البيت (متفاعلن) مع ضرب البيت (متفاعلن) .

ألا نَسِّيا نفسى حديثَ البلايلِ بمشمولة صفراءَ من خَمرِ بابلِ [34]

يعطي مطلع القصيدة المدحية وقعاً موسيقياً يجذب السامع من خلال استخدامه للتقفية فقد جاءت عروض البيت مقبوضة(وهو حذف الخامس الساكن) (مفاعلن) وضرب البيت مقبوض (مفاعلن) .

المظاهر المضمونية في شعر ابن الرومي:

اهتم شعراء العصر العباسي بمضمون قصائدهم ، وفي اختيارهم للمواضيع الشعريّة بدقة ووضوح ، وابن الرومي ينحو في مقدمات قصائده منحيين: الأول تقليدي يسير فيه على سنن من سبقه من الشعراء، والثاني جديد مبتكر . [35] إذ بقيت الموضوعات الادبية وخاصة المدح سائدة لرسوخها في النفس العربية،

وطرأت عليها عدة تغيرات بما يناسب الحياة العباسية الجديدة، والحضارة الغنية، وقد لحق التطور بالقصيدة شكلاً ومضموناً، فقُدمت هذه الموضوعات التقليدية في أشكال جديدة بدأت من الوليد بن يزيد الشاعر الأموي مروراً بأبي نواس وأبي تمام وابن الرومي .ونرى هذه الموضوعات قد تطورت تطوراً كبيراً عند ابن الرومي، وأتى فيها بالجديد، حتى تميز من شعراء عصره، واختطّ فيها على الأغلب طريقاً جديدة، وكان لهذا التطور والتجديد عنده جملة من الأسباب هي: ثقافة ابن الرومي الفلسفية والأدبية الواسعة، ونفسيته المتوترة التي جعلت شعره ذا نكهة خاصة به، وتطور المجتمع العباسي نفسه، وظاهرة القصيدة المكتوبة عنده، أو لنقل "العناصر الكتابية" فيها [36].

إذ ان من الملاحظ في قصائد ابن الرومي هي طول نفسه الشعري، وشدة استقصائه المعنى واسترساله فيه، وبهذا الاسترسال خرج عن سنة النظامين الذين جعلوا البيت وحدة النظم، وجعلوا القصيدة أبياتًا متفرقة يضمها سمط واحد قل أن يطرد فيه المعنى إلى عدة أبيات[37]. ومن يدرس شعر ابن الرومي يرى الواقعية واضحة في شعره، فهو ينقل الواقع خارجياً أو نفسياً نقلاً أميناً في دقة وتفصيل، لكنّه لا ينقل الواقع نقلاً فوتوغرافياً بعيداً عن إحساسه وعواطفه في أغلب الأحيان، بل ينفخ فيه من إحساسه ويحوّله إلى واقع امتزج بعاطفة الشاعر تلقاء المنقول وتأثر بنظرته إليه، إلا أن ابن الرومي شاعر التعقل والمنطق والاستدلال والموضوعية، فتثقفت عواطفه وأخيلته بهذه الصفات، كما أن تعقله كان متأثراً بما يشعر به من العواطف والمشاعر، فقلّت الحواجز بينهما، ومن هنا جاءت عواطفه مستدلّة معقولة كما جاءت استدلالاته عاطفية إحساسية، وهذا هو سر جمال واقعيته وسبب صدقه الفني [38].

أولاً : المظاهر التقليدية :

نظّم ابن الرومي أغلب مطالع قصائده باستهلال وصفي ، إذ يصف ممدوحة بصور تقليدية (فالوصف متعلق بالاستهلال عند العرب ، وهو عند بعض المُحدثين من النقاد جانب ذاتي حر ، تتماهى فيه الذات مع البيئة باعتبارها جذراً للذات ، ومظهر للأنا الجماعية) [39]أن قصيدة المديح هي النافذة التي يطلّ منها الشاعر على الرأي العام ، وهي الفرصة التي يغتنمها من أجل طرح أفكاره أو رؤاه أو رغباته [40]،وقال يمدح مواليه :

قَوْمي بنو العباسِ حلمهُمُ حِلْمي هواك وجهلُهُم جهلي [41]

يمدح الشاعر قومه بني العباس من خلال استخدامه وحدة الهوية والانتماء لقبيلته ، فهناك صراع عاطفي بين العقل والقلب ، والعاطفة هنا هي التي غلبت العقل.

وقال في سليمان بن عبد الله : [المنسرح]

دامت لك الصالحاتُ والنِّعَمُ ولا أَغْبَتْكَ منهما الدِّيمُ [42]

يدعوا بأن تدوم الصالحات والنعم على الممدوح ، فالشاعر يرغب في ان يبقى الخير ملازماً للممدوح . و(الديم) هي الامطار الخفيفة المستمرة وهو كناية عن الخير المستمر .

وقال يمدح إبراهيم بن المدبر : [الكامل]

ما استشرفت منك العيونُ ضئيلا لكنْ عظيما فى الصدور جليلا (43)

يؤكد في هذا المطلع ان الانسان أثر ، فالقيمة الحقيقية للإنسان ليس بما تراه العيون بل بما تدركه القلوب.

وقال فى إسماعيل بن بلبل : [الطويل]

كفى البدءُ منك العودَ فى كُلِّ موْطِنِ وجُرِّدْتَ للجُلَّى وكنتَ حُساما (44)

يستهل أبياته بصورة تقليدية إذ يمدح اسماعيل بن بلبل ويصفه بأنه شجاع مقدام ، وان اقدامه الى ساحة المعركة هو من يحقق نصر ، ويشبهه بالحسام ؛ لأنه كالسيف يحسم الأمر من غير تردد .

وقال في إسماعيل بن بلبل : [البسيط]

اسْعَدْ بعيد أخي نُسْكٍ واسلامِ وعيدِ لَهو طليق الوجهِ بَسامِ (45)

يتمحور هذا المطلع حول التهنئة والتي تقوم على بثّ مشاعر الفرح ، إذ يربط العيد ومشاعر الفرح بالجانب الديني وهو العبادة والطاعة ، ويعتبر هذا الاستهلال تقليدي في المديح لأنه يعتمد على الدعاء والتهنئة وهذا الشيء مألوف في الشعر العربي .

وقال في القاسم : البسيط

يا سيِّدًا يهبُ الأقدارَ مُقتدرًا كما غدا يهبُ الأموالَ والنِّعما (46)

يفتتح قصيدته بنداء الممدوح ليمنحهُ تبجيل وتعظيم فالغرض من استخدام النداء في الاستهلال (لتنبيه المخاطب وتوقيره) ،فهو يستخدم لشد انتباه المتلقي ، فهو يعمل معاً على البعد البلاغي والموسيقي ، فنجده يبالغ في ثناء الممدوح ، إذ صور الأقدار بأنها تملك كالأموال ، وأن كرمه بالأموال معروف حتى أنه بكرمه اصبح يهب الاقدار ، وهذا نمط تقليدي في تعظيم شأن الممدوح.

وقال فى أبى عمر بن سعد : المنسرح

يا حسن الوجه والشمائل وال أخلاقِ والرأي والأفاعيلِ (47)

يستهل ابياته بصورة مدحية تقليدية بذكره الخصال الحميدة وهي جمال الخلق والشمائل اي السجايا الحسنة والاخلاق والرأي (رجاحة العقل) والأفاعيل (الافعال الحميدة)، إذ جمع بين الصفات الظاهرة والباطنة لشدة اعجابه بالممدوح .

ويستهل قصيدته (**قاتل اليّأس**) :

أيها القاسمُ القسيمُ رُواءَ والذي ضمَّ ودُّهُ الأهواءَ [48]

يتضمن هذا المطلع بتقديم فكرة عن الشخصية المتكاملة والتي تجتمع فيها الخصال الحسنة ، فبقوله (القاسم القسيم) إشارة إلى العدل والإنصاف وحسن التدبير ، وبقوله (ضمَّ ودُّهُ الأهواءَ) أي أتفقت القلوب على حبهِ رغم اختلاف ميولها.

وقال في ابن الخبازة في مطلع (**مجتمع الأنساب**) :

يا ابن بُوران ، قد جُعلت فدائي عشْتَ في غبطةٍ وفي نَعْماء [49]

يفتتح الشاعر قصيدة بالنداء ليعطي بعداً اجتماعياً وسياسياً ويشيد بمكانة الممدوح التي تستحق الإشادة ، ويعطينا انطباعاً عن قرب علاقته بالممدوح ، وأنه يستحق الفداء بقوله (فدائي) ليعبر عن ولائه الشخصي ، وبقوله (عشْتَ في غبطةٍ وفي نَعْماء) يدعو له باستمرار النعمة عليه .

وابن الرومي كغيره من الشعراء عشق الجمال وسعى اليه فكان الجمال هدفاً في حياته ، امتدح به وتذوقه ، وتأثر به سواء في الوجه أو الجسد أو الصوت أو الغناء الحسن الجميل ، والذي يدل على ان له ذوقاً يستحسن الجميل وينفر القبيح ، وينفر عن الشعراء بطبيعة خاصة تفيض بالشعر ، فقد يتقيد أحياناً في شعره بالمعاني التقليدية ، لكنه يتحرر منها في حين آخر [50].

ومثال على ذلك مدحه للقاسم بن عبيد الله :

ألا يا زينة الدنيا جميعًا وواسطةَ القلادةِ في النظامِ [51]

يستهل بتعظيم المخاطب ورفعه وتميزه بين قومه ، (واسطةَ القلادةِ في النظام) صورة فنية ذات بعد مضموني عميق تدل على تراتب حبات العقد ووساطة القلادة أي الجوهرة التي تتوسط القلادة والتي تكون الجزء الثمن في العقد .

ثانياً : المظاهر التجديدية .

يتمثل التجديد بخروج الشاعر عن النمط التقليدي والذي نجده بكثرة في مطالع الشعر العربي وهو الوقوف على الاطلال أو الغزل أو المقدمات الوصفية ، بل نجد يتجه الى اتجاهات ذات طابع فكري وفلسفي .

غدا الدهر مفترّاً أغرَّ المضاحكِ عن ابن عبيد الله تاج الممالكِ[52]

أستهل الشاعر باستخدام مظّاهر كونيّة وهو (الدّهر) فبدأ بمشهد متحرك وهو (الدهر يبتسم) بما يخلق من مفاجأة جمالية تشد المتلقي ليفتح آفاق امام المتلقي ويخرجه عن الصورة النمطية التقليدية ،ونعت الممدوح بـ تاج الممالك الذي يعكس السلطة والمكانة لدى الممدوح . إذ يجمع هذا البيت بين التقليد من خلال استخدامه للمبالغة والألقاب وبين التجديد من خلال استخدامه للصورة الحركية .

قال في القاسم :

بالجانب الشرقي شمسٌ أشرقتْ فتضاءلت شمسُ النهار خمولا [53]

يستهل بيته بتعظيم شخصية ظهرت بالمشرق ،بأنه كالشمس في شروقها ، والذي قد يدل الى ولادة عصر أو نهضة جديدة بظهوره ، ففي البيت مفارقة جمالية فبظهور ممدوحة تختبئ الشمس الحقيقية ليدل بذلك على علوّ قدر الممدوح وسطوع مجده .

وقال يمدح :

قلبتُ بطونَ الشعر قبل ظهورِه فلم أر قولا لم تَقدَّمه بالفعلِ[54]

ابتعد الشاعر هنا عن الاستهلال التقليدي اذ جمع المطلع بين عمق الفكرة والصورة البيانية والنزعة الحكيمة ، أذ ابتدأ بالفعل (قلبت) والذي دل هنا على الحركة ، وجعل من الشعر كتاباً تُقلب صفحاته لكشف بواطنه . اما قوله (فلم أر قولا لو تقدمه بالفعل) الذ اعطى به طابع حكمياً بأ قيمة الكلام لا تتحقق إلا اذا صدّقته الافعال . وهذا يعد من ابرز سمات التجديد في الشعر العباسي .

وقال يمدح محمد بن عبد الله ، وهى قصيدة طويلة لم يوجد منها غير ما ثبت ها هنا :

وقال في إسماعيل بن بلبل في (**رجوت**):

غدا كلّ ذي شعرٍ يُدل بشعرِه ومالي إدلالٌ بغيرِ نَداكا [55]

برز التجديد من خلال وجود النزعة التأملية التي منحت الاستهلال طابعاً عقلياً متجدداً فالنص الشعري هنا فيه مفارقة بين الشعر بوصفه قولا ، والندى(الكرم والعطاء) بوصفه فعلاً ، وبهذا والذي أعطى صورة مكثفة بألفاظ قليلة ذات معاني كثيرة .

النتائج :

- يمثل الاستهلال أحد اهم عناصر القصيدة ، ويعد البداية التي تلفت انتباه المتلقي .
- ان ثقافة ابن الرومي جعلته يبرع في توظيف الاستهلال في قصائده المدحية فأسلوبه في المدح مباشر واضح المعاني .
- تعد قصائده المدحية الجزء الأكبر من ديوانه ، فنجده يلّون في توظيف صور الممدوح ، إذ أن المعاني القديمة استمرت في شعره و لبست لبوساً جديداً، فيمدح الشجاعة والمثل العليا والأخلاق والخصال الحميدة ، ونجده كذلك يستهل بالنداء والدعاء ليعظم ممدوحه وذكره للدهر كلها والتي تعد مظهراً من مظاهر التجديد .
- اعتمد ابن الرومي على الجانب الإيقاعي وخاصة الإيقاع الداخلي، فهو ركيزة مهمة من ركائز توظيف الجانب الشكّلي فقد أكثر من توظيف شعرية الاستهلال فاستعمل التقفية والتصريع بالنقص وهو سياق تقليدي في مطالع مدائح بن الرومي إذ كان حضوره لافتاً في مطالع ابن الرومي ، ونستنتج من خلالها على اهتمام الشاعر وقدرته في استخدام وتوظيف التفعيلات .

- استطاع الشاعر ان يتجاوز الأطر التقليدية بتنوع عتبات قصائده إذ نقله من القوالب القديمة والابتعاد عن المقدمات الموروثة الى فضاء أكثر عمقاً واتصالاً بالفكر .

الهوامش

(1) الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : مفيد قميحة ، بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ط2 ، 1984م : 489 .
(2)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسين بن رشيق القيرواني ت(456هـ) حققه وفصله وعلق حواسيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط5 ،1981 م : 218/1 .
(3)منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1986 م : 309 .
(4) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،1414 هـ ، مادة هل .
(5) ينظر ، الاستهلال الوصفي في سورة العاديات دراسة في البنية والدلالة ، د.محمد أحمد السيد عطا ، مجلة كلية اللغة بإيتاي البارود ، العدد السادس والثلاثون ـ الاصدار الثالث ـ أغسطس ،2023 : 455 .
(6)ينظر ، الاستهلال فن البدايات في النص الادبي ، ياسين النصير ، دار نينوى ، سوريا ، 2009 م :22-23 .
(7)الاستهلال في قصائد الشيخ احمد الوائلي دراسة تحليلية ، م.د عبد الستار جبار عطية ،مجلة تسليم ، السنة الخامسة المجلد العاشر العددان التاسع عشر والعشرون ، ٢٠٢١ م : ٣٩١.

(8)ينظر، ابن الرومي الشاعر المجدّد ، د. اركان الصفدي ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2012 م :177 .
(9)ينظر، الأدب العباسي الشعر ، سامي يوسف أبو زيد ، عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،2011 م :227.
(10) ينظر ، ديوان ابن الرومي ، شرح الاستاذ أحمد حسن بسج ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 2002 م :11/1.
(11)ينظر ، جماليات الأنا والآخر في شعر ابن الرومي ، مسعود ساري ،مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، المجلد 9 العدد 2 / ديسمبر 2023م : 121 .
(12) فن التقطيع الشعري ، صفاء خلوصي ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الخامسة ، 1977 م :46 .
(13)ديوان ابن الرومي ، ابي الحسن علي بن العباس ، بن جريح ، تحقيق حسين نصار ،الطبعة الثالثة ، 2003م :3/ 3.
(14) فن التقطيع الشعري : 207 .
(15)ديوان ابن الرومي :5/3.
(16) فن التقطيع الشعري : 208 .
(17) ديوان ابن الرومي :2237/6.
(18) فن التقطيع الشعري :207 .
(19)ديوان ابن الرومي :257/3.
(20) المصدر نفسه :248/3 .
(21)المصدر نفسه : 3/ 8 .
(22)المصدر نفسه : 1994/5.
(23)المصدر نفسه :2280/6.
24 فن التقطيع الشعري : 208 .
(25) ديوان ابن الرومي :250/3.
(26)المصدر نفسه : 248/3.
(27) فن التقطيع الشعري :207 .
(28) ينظر، العمدة في محاسن الشعر : 173/1 .
(29) ديوان ابن الرومي : 233/3.
(30) المصدر نفسه : 1/ 324 .
(31) فن التقطيع الشعري : 207.
(32)ديوان ابن الرومي :2239/6.
(33)المصدر نفسه :2245/6.
(34)ديوان ابن الرومي :2014/5.
(35) ينظر، ابن الرومي الشاعر المجدد :178 .
(36)ينظر، المصدر نفسه : 77 .

(37)ابن الرومي حياته وشعره ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت 2000 م : ٢٥٠ .
(38)مظاهر الفكر في شعر ابن الرومي ، ا. م مرضية آباد ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسي ، مشهد : ٩١-٩٢.
(39)الاستهلال الوصفي في سورة العاديات دراسة في البنية والدلالة ، محمد محمد احمد السيد عطا ، جامعة الازهر، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد السادس والثلاثون ، الاصدار الثالث ، اغسطس ،2023م:456 .
(40) ابن الرومي الشاعر المجدد :174 .
(41) ديوان ابن الرومي :1960/5.
(42) المصدر نفسه :2405/6
(43) المصدر نفسه :1968/5 .
(44) المصدر نفسه : 2317/6.
(45) ديوان ابن الرومي:6 /2246.
(46) المصدر نفسه: 2337/6.
(47)المصدر نفسه : 1966/5.
(48) المصدر نفسه : 34/1 .
(49) المصدر نفسه :48/1 .
(50) الإنسان في رؤية ابن الرومي والمتنبي بين المدح والقدح ، رسالة ماجستير ،جمعة سفر سعيد ، المملكة العربية السعودية ، 1997 م : 19 .
(51) ديوان ابن الرومي :2238/6 .
(52)المصدر نفسه : 1862/5 .
(53) المصدر نفسه : 1991/5.
(53)ديوان ابن الرومي :2022/5.
(53) المصدر نفسه :22/3.
(54)ديوان ابن الرومي :2022/5.
(55) المصدر نفسه :22/3.